

من قتل فريد الأطرش؟!



بقلم : جورج إبراهيم الخوري

الأستاذ جورج إبراهيم الخورى هو الصحفي اللبناني المعروف . . ورئيس تحرير مجلة « الشبكة » . . والصديق الذى اختارته نقابة المحررين فى لبنان لكى يتحدث عن المرحوم فريد الأطرش .

وقد حالت ظروف الأستاذ جورج إبراهيم الخورى من الحضور إلى القاهرة بنفسه . . فأرسل إلينا هذا الفصل من بيروت . . حرصاً من جانبه على المساهمة فى هذا الكتاب . . وبجاءاً مع الفكرة التى تحرص عليها لجنة تكريم الموسيقار فريد الأطرش .



شرف لى أن أكتب فى هذا المقام عن فريد باسم نقابة المحررين اللبنانيين . وشرف
أن ترتفع إلى هذا المقام نقابات الفن فى لبنان .
وشرف أن ترتقى هذه الرفعة إلى سدة تكريم من كنت أشتى أن يكون تكريمه فى حال
حياته ، ولكن . . .

كم قتلت وكم قدمت عندكم
ثم انتفضت فزال القبر والكفن
قد كان شاهد دفى قبل قولهم
جماعة ثم ماتوا قبل من دفنوا
ماكل مايتمنى المرء يدركه
تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن

أبو الطيب المتنبي سبقنا زمناً فى التمنى اليائس ، حتى ذهب يأسه مثلاً وحكمة . .
ولو أنه عاش فى عصر الأمير الفنان فريد الأطرش ، لا فى عصر الملك الأستاذ كافور ،
لما توانى عن إنشاده :

وما طربى لما رأيتك بدعة
لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب

وتعدلني فيك القوافي وهمتي
 كأني بمدح قبل مدحك مذنب
 ولكنه طال الطريق ولم أزل
 أفتش عن هذا الكلام وينهب
 فشرق حتى ليس للشرق مشرق
 وغرب حتى ليس للغرب مغرب

كان أميراً وكان أستاذاً . . أمير أصل وفصل وحسب . . وأستاذ فن وعود
 طرب . .

وجبنا له نحن هنا في لبنان ، لم يكن فقط حب أذن لصوت ، أو حس لوتر ،
 أو قلب لحب ، بل كان أقوى وأوثق وأعرق جذوراً . كان - وقد ندري هذا أو لا ندري
 - حب العرق للعرق ، والعصب للعصب ، والدم للدم .
 إن فريداً الأطرش كان لكل العرب ، ولكنه كان في الأصل لبنانياً .

كان من جبل لبنان قبل أن يسترد جنسيته الأصلية بهوية تتعاقب فوقها أرزة الرب !
 الأمراء الطرشان في الجبل الأشم . . جبل الدروز الأجاويد . . هم كما يقول
 مؤرخوهم من الأمراء المعنيين . . من سلالة الأمير اللبناني البطل فخر الدين المعني . .
 وقد نزع الأمراء المعنيون عام ألف وسبعمائة ، منذ مائتين وخمسة وسبعين سنة ،
 إلى سورية الحبيبة . . سورية الشقيقة . . سورية البطلة . . واستوطنوا جبل
 العرب الذي تفجرت منه بنايع الأحرار والرجال والأبطال . .

من صلبهم انحدر أول موسيقار لهم يحمل اسم عائلتهم النبيلة . . وللحق والعدل
 والتاريخ نسجل أن أمراء الجبل كانوا متحفظين في الخط الذي انتهجه ابنهم في طريق
 الفن

فالفن لم يكن يتفق في مطلع هذا القرن مع الأعراق والرصانات والتقاليد . لكن

الأمير الشاب فريد الأطرش الذى ولد الفن فى دمه . . كما ولد الطموح والانفشاء
واستباق الزمن . . أصر وغنى واحترف . . .

عندئذ انعقد مجلس العائلة العريقة . . وقرر مراقبة فريد فى حقله الجديد . .
حتى إذا ما حافظ على مستواه ومستوى الجبل . . باركوه . . وإلا حاسبوه . . .
وبعد سنوات باركوه وعانقوه وجللوه بأكاليل الغار . . . كان فريد يفخر
بالإنتساب إلى جبل العرب ، فإذا بكل الجبال العربية تفاخر بالانتساب إليه .
خلق ونبل وشهامة عربية .

ونبوغ وتصور وعبقريّة موسيقية .

وعطاء واقتدار وقيمة فنية .

ولو ساد العقل فى الناس لما كان الرسل الأنبياء . . ولو سادت الحكمة لما كان
الفلاسفة والحكماء . . .

ولو ساد الفن الرفيع . . لما كان فريد الأطرش . .

ولما كنا هنا نحى ذكراه . .

ذكراه ياما أمرها على قلوب الذين يتذكرون . .

فالذكرى أخت الرحيل . . .

والذكرى بنت الغروب . . .

والذكرى أم الغياب . . الغياب الأبدى .

ولكن ، هل يغيب من نسمع صوته فى كل الأقطار ؟

هل يغيب من نظرب لشده على جميع موجات الأثير ؟

هل يغيب من تتردد ألحانه على سائر الحناجر ؟

هل يغيب من ترتسم صورته على صفحات الصدور ؟

هل يغيب من خلد الشرق فى موسيقاه ، وفتح للفن معاهد الجمال ، وشق للغناء

دروب الأزل ؟

هل يغيب من هدم بفنه كل السدود ، واجتاز بصوته كل الحدود ، وجعل من بلاد
العرب جامعة « عربية » حقيقية ، تلتقي كلها في المعهد الموسيقى ؟
هل يغيب من سقاه فنه من تربة كل أرض سمراء ، فإذا هو حامل جنسية
روحية من كل بلد عربي ، وحامل جنسية رسمية من سوريا ومصر ولبنان والسودان ؟
مثله لا يغيب .

ومثلنا يفاخر الأجيال بأنه عاش في عصر فريد الأطرش .
عاشناه حياً ، وعاشناه راحلاً . . . حتى الجسد والروح ، وراحل الجسد وحده .
نحن سعداء بهذه المفارقة التي وفرها لنا الموسيقار الكبير الراحل .
ومن عجب الدنيا أن تنبثق السعادة أحياناً في معرض الحزن . . وينبثق الحزن
في معرض السعادة .

° ° °

فباسم نقابة المحررين اللبنانيين .
وباسم نقابات أهل الفن في لبنان .
وباسم كل من يؤمن بالفن ورسالته السامية .
نطالب الدولة هنا - في لبنان - بأن تقيم لفريد الأطرش في لبنان تمثالاً . .
وإذا أردنا التحديد ، فليكن هذا التمثال على مدخل المربع العالي ، مربع البيسين
في عالية . . في عروس المصايف التي طالما أسهم فريد الأطرش في إنعاشها وازدهارها
وإحيائها .

هناك على تلك الراهية . . يرتفع التمثال . . وهنا على هذا المنبر . . تنتصر
الكلمة وهي تعظم فنناً رفيعاً للجمال في كل قلب مثلاً ، واختار لبنان . . وطنه
الأصلي الأصيل . . ليكتب فيه آخر كلمة من كلمات حياته وآخر حرف من حروف

خلوده ، بعد أن اختطفه منا الموت .

ولقد بدأت رحلة فريد الأطرش مع الموت . . . قبل أن يموت فعلاً بشهرين !
فقبل وفاته بشهرين كان في القاهرة يمثل آخر لقطات فيلمه الجديد « نغم في حياتي »
في إحدى فيلات شارع سليمان باشا . عندما قال له المخرج هنرى بركات : - يجب
أن تستبدل بنطلونك هذا بينطلون آخر . وخلع فريد بنطلونه ، ثم نزع منه كل ما يحتويه
من نقود وأوراق و . . . مصحف صغير موضوع في كيس ذهبي اعتاد أن يدهسه
في الجيب الأمامي ضمناً لحفظه وصيانته وعدم ضياعه . ومثل ما تتطلبه اللقطات ،
وعاد إلى الطاولة ، ثم ارتد صارخاً : طار المصحف .

وتقدمت منه صديقتة ورفيقتة ومديرة أعماله دينيز جيور . . وقالت له :

- مابك تصرخ ؟

قال وهو ينقب في الطاولة وتحتها وحولها .

المصحف يادنيز ، تركته هنا !

وبحثت دينيز عن المصحف فلم تجده . . . وسألت عنه جميع العاملين في حقل
تلك الفيلا ، فلم تلق رداً . . .
لقد امتدت إليه يد خفية وسرقته . . . وأطرق فريد وهو يلهث ، ثم بدت على
وجهه المتجهم علامات التشاؤم وهو يقول . . .

خلاص . . . انتهى الأمر !

وقالت له صديقتة :

- ما هو الأمر الذي انتهى ؟

قال فريد وقد لمعت عيناه الغائرتان ببريق دمع :

كان هذا المصحف ضماتني وحرزى وصلاتي التي تبعد الشر عني . . . أما الآن
فقد أصبحت بلا سلاح مقدس .

قالت الصديقة :

- لا تخف . . . يكنى أنك مؤمن بالله .

ولم يجب . . . بل للم نفسه ومشى . . . كان هذا المصحف المبارك الثمين هدية
عزيزة على قلب فريد ، من سامية جمال . . . أهدته إياه منذ خمس وعشرين سنة ،
يوم كانت في قمة حبه له . . . قالت له ذات ليلة من ليالى البحث عن تنوير ذلك
الحب الكبير بالزواج .

- لا أملك أثنى من هذا المصحف لأقدمه لك عربون حب ووفاء . . . احفظه
يا فريد . . . لأنه يقيك من كل الشرور .

وحفظه فريد الأطرش طوال خمس وعشرين سنة . . . لم يتركه يوماً واحداً . . .
وكان كلما اشتد به الألم وأحرق الخطر وعصف الشر أمسك بالمصحف وأغمض عينيه
وهتف : يارب .

ويشعر إذ ذاك بقوة جبارة تتسلل إلى جسده فتشد أزره وتبعد عنه المخاوف والهواجس
والأخطار .

والآن ، وبعد ماضع المصحف أو سرق أحس فريد بما كان قد أحس به شمشوم
الجبار إذ قصت دليلاً شعره .

وتشاع الموسيقى الموقرة وأطلق كلماته الثلاث الرهيبية :

(خلاص . . . انتهى الأمر)

آخر كلمات قرأها .

ومن يومها تبدل إحساس فريد الأطرش بالحياة . . . وكان كلما مد يده إلى
جيبه الصغير باحثاً عن المصحف الضائع ، تتم بصمت : ياساتر يارب .
. . . إلى أن كانت رحلته الأخيرة إلى لندن .

لقد حان موعده المحدد في لندن العاصمة البريطانية التي كانت تحمل بلسم

الشفاء لفريد فقرر أن يرحل في الرابع عشر من شهر تشرين الثاني الماضي ،

وليلة سفره اتصل بنا نحن النخبة من أصدقائه وقال لنا :

ألا تأتون لتودعوني ؟

قلنا له :

- لقد جمعنا أنفسنا وقررنا السهرة في بيتك هذا المساء لنودعك . .

واستراح على التلفون وقال بحبور :

يا الله . . .

كانت المرة الأولى التي يطلب فيها فريد من أصدقائه الحميمين أن يودعوه . .

كان قلبه دليله . . وكان في داخله صوت يدوي ويقول قد تكون هذه هي رحلتك

الآخيرة يا فريد . . . وساهرنا في بيته .

ولاطفناه وسأيرناه واستدرجناه في قصصه الخاصة التي رواها بكثير من السلامة

والإثارة والتفاصيل الدقيقة . . الأمر الذي حمل أستاذنا الكبير سعيد فريحة على أن

يقول له :

- أنت أخطر سينارست رأيته في حياتي .

وما إن حلقت به الطائرة حاملة إياه مع رفيقته الدائمة دنيز جبور إلى لندن ،

حتى كان صاروخ الشبكة يوجه إليه القذيفة التالية :

عزيزي فريد :

مساء الأربعاء الماضي سهرت في بيتك الأنيق الذي تفوح من كل ركن فيه رائحة

الفن . لأودعك ليلة سفرك إلى لندن في رحلة سنوية تقليدية تعرض قلبك خلالها على

صديقك البروفسور جيسون ، وكان في بيتك كل الذين تحبهم ويحبونك وهم نخبة

مختارة من صفوة الأصدقاء والأقرباء والأحباب ، ومع أنك كنت متعباً ومرهقاً وخارجاً

لتوك من أزمة صحية مداهمة استوجبت استدعاء طبيب إلا أنك سهرت وسأيرت ورويت

قصصاً استدرجت أقاصيص . .

وأنت والحالة هذه . . أشرق وجهك وشعت ابتسامتك وبدوت وكأنك أنت
السليم المعافى ونحن المرضى . . بك وبحبك وبشخصيتك الحلوة !
وأنا واثق من أن الدكتور جيسون لن يقول لك أكثر مما قاله في السابق : عش
كما أنت . . فأنت مثل لبنان . . فوضى منظمة . .

وأعتقد أن سر عمرك كله يكمن في حبك للحياة ، وللناس ، وللأصدقاء
بنوع خاص . . بينهم تحيا ، و بينهم تنتعش ، و بينهم تنسى قلبك ولكنك لا تنسى
حبك وعطاءك وتضحياتك الدائمة .

من قلبي أتمنى لك عودة ميمونة إلى لبنان وإلى أهلك وعشيرتك وجماهير الشعب
العربي الكبير الذي منحك كل هذه القدرة على الحياة .
وألّف نقرة على خشب الورد .

وقرأ فريد القديفة في لندن كلينك وفرح بها . . أسعده أن يذكره محبوبه في غيابه
كما يذكرونه في حضوره . . فالوفاء كان عقدة الأطرش المزمّة . . وكان أكثر
ما يؤلّه ويعذبه ويمزق قلبه فوق ماهو ممزق أن يغدر به صديق كان يحسبه وفياً .
أقول هذا لأسجل أن فريداً كان سعيداً بآخر كلمات قرأها في حياته وكانت هذه
الكلمات من قلب الشبكة .

نصف القلب تعطل ، ،

لكن السعادة الروحية التي وفرتها له الشبكة لم تلبث أن تبددت ليحل محلها
الضيق والتبرم والثورة الجامحة . .

تضايق فريد في لندن كلينك فتركه وتوجه إلى أوتيل هيلتون وهو في أقصى حالات
المرض . . ثم مالّبث أن سارع باستدعاء طبيبه المزمّن جيسون الذي نقله فوراً إلى

برومبتون هو سيبتال . . . وأخضعه من جديد للفحص الدقيق . . . وهز الطبيب رأسه يأساً وقال له . . . كنت تعيش بنصف قلب وها هو نصف النصف قد تعطل . . . بت تعيش يا صديقي بربع قلب .
وتقول دنيز جبور :

وصعق فريد . . . وازداد ارتباكاً عندما تركه جيسون مع مساعدته ليذهب إلى أليك أند . . . يذهب مساء الجمعة ولا يعود إلا صباح الاثنين تاركاً مريضه الموسيقار العربي الكبير في حالة الخطر .
وتضيف دنيز :

والأخطر أن جيسون منع عن فريد حبوب الديكوكسين التي تشد عضلات القلب طوال خمسة عشر يوماً . . . لماذا . . . لست أدري كل ما أدريه أن حالة فريد الصحية والنفسية قد انهارت تماماً .
وأكثر - تستطرد دنيز - دهمت فريد نوبات بكاء . . . كان كلما لمح الدواء في يد الممرضة بكى كالأطفال . . . وصرخ : ارحموني . . . لم أعد أحتمل أى دواء . . . وكان كلما أرخى الليل سدوله . . . ورحل الزوار . . . استسلم للبكاء والنحيب . . . وكان كلما تلمس المصحف الشريف الذى أضاعه في القاهرة سالت من عينيه الدموع وهتف : ياساتر يارب .

• • •

وأخيراً . . . قال الدكتور جيسون لدنيز . . .
- أنصحك بإرجاع فريد إلى وطنه . . . وفهمت دنيز . . . فهمت أن جيسون نزع يده من فريد وأنه يفضل له أن يموت في بيته وبين أهله وأقربائه وأصدقائه على أن يموت في عاصمة الشباب التي لا أهل فيها ولا أقباء ولا أصدقاء .

ثلاث سهرات وحلم مرعب . . .

وودع فريد الطبيب البريطاني الذى تعرف عليه منذ ثمانية عشر عاماً بقلب كامل ولوعليل وتدرج معه إلى نصف قلب . . ثم إلى نصف النصف ثم إلى دقائق بطيئة مثاقلة . . كأنها دقائق الطبول الحزينة فى مجاهل الموت .

وفريد لا ينام . . . إنه صديق الليل وعدو النهار . . فألى أين يذهب وكل ما فى لندن يغرى بالسهر . . ؟

ولأنه يحب أن يتسلى فقد ذهب إلى نادى بالم بيتش . . فلا شيء يخفف عن فريد ثقل الحياة مثل اللعب . . إن اللعب ينسيه مرضه . . ويعزله عن العالم الخارجى . . ويسكنه فى بيت مغلق تدور فيه « بلية » بيضاء حول سبعة وثلاثين رقماً مع الصفر . . اسمها الروليت . .

سهر هناك حتى الصباح . .

وطوال ثلاثة أيام سهر حتى الصباح . . ولم يبال بالخسارة سواء كانت بسيطة أو فادحة لأن فريداً لا يلعب ليكسب . . بل ليتسلى . . وفى اليوم الرابع لم يتسل بل نام فى الفندق نوماً عميقاً تخلله حلم مرعب .

حلم بأن المرحومة أمه السيدة علياء المنذر تتدثر باللباس الأسود وتبكي عليه . . وبالقرب منها تقف شقيقتها السيدة طرب بالحجاب الأسود وتشاركها البكاء .

وصحبا من النوم مذعوراً وهو يروى لدنيز مارآه فى الحلم ويحاول أن يطمئن نفسه ويقول . . ولكن أُمى لن تأخذنى إليها . . قالت له دنيز وهى تهدئ من روعه :

لا تخف ، كلنا نحلم ، ولا يتحقق شيء من أحلامنا . . .

- ولكنها لن تأخذنى إليها . .

- خيراً إن شاء الله . . يبدو أن نفسها تطلب الرحمة . . فصلى لأجلها . .
- دعينا نساfer ، أريد أن أرجع إلى بيتى . .
- وفى الطائرة التى كانت تنقله من لندن لتعيده إلى بيته فى لبنان . . تردد على لسانه
عبارة واحدة فقط :
- يارب أوصلى إلى بيتى . . ارحمنى ولا تدعنى أمت فى طائرة !
- وكانت دنيز تكفكف دموعها الصامته . . وتشاركه النداء فى سرها . . ثم تبسم
وتقول :
- كل عمرك وأنت تطلب من ربك ألا يميتك فى طائرة أو فى سيارة أو فى شارع
فلا تخف . . إن الله يحب الذين يسبحونه بأصواتهم الجميلة . .
- أنت تعرفين أن من أقدس أمانى أن أموت على المسرح أمام الجمهور الحبيب . .
ولكنى الآن فى طائرة . . وكل ما أرجوه أن أصل إلى بيتى حياً . .
- هل تسمح بأن نخلصنا من الحديث عن الموت . . يقطع الموت ويقطع ساعته . .
وأطلق فريد زفرة حرة من أعماق أعماق صدره وقال لدنيز :
- يادنيز . . . إن أيامى معدودة . .
- قالت دنيز :
- بعيد الشر . . .
- أعطىنى أيضاً حبة إيزورديل . .
- يكنى إيزورديل . . تناولت حتى الآن ست حبات . . حبة واحدة توسع
شرايين القلب . . فكيف بنصف درينة ؟
- أعطىنى حبة سابعة نفسى يضيق فى صدرى .
- وأعطته حبة سابعة . . واستجاب الله لنداء فريد فحطت الطائرة بمطار بيروت
يوم الأحد ووصل سالماً إلى البيت .

إلى سن الفيل ، ،

وفي البيت كانت خطيبته السيدة سلوى القدسي تحيط به وترعاه وتشرف على راحته .
لكنه لم يتم فقد انتابته أزمة ألم شديد كادت تمزق صدره تمزيقاً . . لقد تضخم القلب
كل التضخم . . ومع القلب تضخم الكبد . . واحتلك القلب بالكبد فسيب الألم
الشديد .

وجاء الدكتور إبراهيم الحجار . . وأمره فوراً بالانتقال إلى المستشفى القريب
مستشفى الحايك في سن الفيل . . ورفض فريد . . لكن الطبيب أصر . .
فقال له فريد . .

إذا أدخلتني الاثنين فتى تخرجني ؟ وفكر الطبيب قليلاً . . وقال - الخميس . .
وقبل فريد . .

وفي الجناح رقم ٢٠٢ بمستشفى الحايك دخل الدكتور حجار في صراع مع الموت ،
محاولاً إبعاد شبحه الرهيب عن الموسيقار الصديق . .

يوم الاثنين كان يوم الخطر المدهم . . فقد توقفت كليتا فريد عن العمل . .
وتعباً جسمه بالماء . . فوق التضخمين القاتلين . . تضخم القلب وتضخم الكبد . .
وأيقن الطبيب أن الحالة خطيرة جداً . . ولم ينكر هذه الحقيقة الأليمة عن خطية
فريد ورفيقته وذويه وفي مقدمتهم شقيقه منير ، وقربيه السيد رياض جنبلاط زوج
السيدة كاميليا ابنة المرحومة أسمهان . . وقرروا استدعاء الأخ الأكبر الغائب
في الكويت السيد فؤاد الأطرش . . الذي ذهب من القاهرة إلى درة الخليج
ليحتفل بعيد الأضحى مع بعض أصدقائه فتولى منير أمر الاتصال التليفوني به
واستدعاه على جناح البرق . .

لكن الطبيب اللبناني المشهور استطاع بعلمه وبراعته أن يبعد الألم عن فريد . . .

ويجعله ليل ذلك الاثنين . . ينام حتى الصباح . .
يوم الثلاثاء تحسنت صحته ولكن الزيارات ظلت ممنوعة عليه . . سلوى
القدسى ودينز جبور وحدهما ، كانتا تملكان حق الدخول إلى جناح الموسيقار العليل .
يوم الأربعاء أشرق وجه فريد ورفع الطبيب يديه إلى السماء وقال : معجزة .
ثم أقرب من منير الأطرش وقال له :
اجعلوا تاريخ ٢٣ من كل شهر . . عيد ميلاد جديد لشقيقكم فريد . .
ويوم الخميس صبحا فريد تماماً . . ولكن أحداً لم يكن يعلم أنها صحوة الموت .
قال لشقيقه فؤاد الأطرش الذى وصل لتوه من الكويت .
- اذهب إلى السينما واحضر فيلمي الجديد « نغم في حياتي » وأعطيني رأيك
الصادق به . . احضره أنت لأن القدر ضن على بحضوره مع الجمهور . . مساء
الاثنين أدخلوني إلى المستشفى ولم يأخذوني إلى السينما . .
ونظر فريد إلى صديقه روبر خياط . . وسأله عن أغاني الفيلم الثلاث حينما
حبينا ، عشان ماليش غيرك ، وياحبيني ياغايين . فقال له .
- أنزلناها اليوم إلى الأسواق . . وتطلع إلى طبيبه الخاص وقال له :
وعدتني أن تخرجني من المستشفى يوم الخميس . . واليوم هو الخميس . . فلماذا
لم تف بوعدك ؟
أجاب الطبيب . . لن أخرجك من هنا قبل آخر السنة . . اهدأ ودعني أعمل
وأتكمل على الله . .

آخر الوجوه والكلمات :

وفى تمام الرابعة من بعد ظهر الخميس الواقع في ٢٦ كانون الأول ١٩٧٤ تسلس
شيخ الموت إلى جناح الموسيقار الكبير فريد الأطرش في مستشفى الحايك بسن الفيل .

كان فى جناحه وجهان حبيبان . وجه سلوى القدسى ووجه رياض جنبلاط .
أما دنيز جبور فكانت قد ذهبت إلى مطار بيروت لتسأل عن حقيقة فريد الضائعة
إنها حقيقة تحتوى على جميع التقارير الطبية والصور بالأشعة التى أخذت لفريد
فى لندن . . . لقد ضاعت هى الأخرى ما بين لندن وبيروت ولم يجدوها حتى الآن . .
قال فريد لسلوى :

إنى جائع .

فتقدمت منه وفى يدها كاسة مهلبية ووضعت بفيه ملعقة . . ولكنه لم يقو على تقبل
ملعقة ثانية .

قال لسلوى :

عاد الألم إلى صدرى . . إنى متضايق . .
وأسرعت سلوى تستدعى الممرضة الفرنسية التى جعلوها راعية لفريد . . وتتصل
تليفونياً بالدكتور حجار . .

واقرب رياض جنبلاط من فريد يمسه بيديه . . فقال له :

- إنى متضايق يا رياض أنقذونى !
- ما بك ؟ بماذا تحس ؟
- بحرق محرقة فى باب معدنى . .
- ماذا أكلت ؟
- ملعقة مهلبية . . دخليكم أنقذونى . .
- تعال ارفع رأسك قليلاً عن الوسادة . .
- ارفعنى . . ورفعه قليلاً عنه يريحه ولكنه لم يسترح . . ودخلت الممرضة
الفرنسية وهى تحمل جهاز أوكسجين وضعت على فم فريد وأنفه فصرخ بها :
- أبعديه عنى . . أكاد أختنق . .

- إنه يريحك . . يا رياض . . أرجوك . . مدد رجلى على السرير . .
 - إنى لا أستطيع أن أحركهما ومد رياض يده اليمنى إلى ساقى فريد ليمدهما . .
 وأسند رأسه بيده اليسرى وأخذ يزيحه قليلاً . . وفجأة . . تلاشى فريد بين يدى
 رياض . . وسقط رأسه على الجدار القريب واصطدم به .

وهنا كان قد وصل الدكتور حجار مع معاونيه فأخذوا يدلكون قلبه وجسمه
 سريعاً ولكن . ولكن فريد كان قد لفظ آخر أنفاسه .

كان فريد قد مات .

من عجائب القدر ، ،

لقد وعده الدكتور حجار بأن يخرج من المستشفى يوم الخميس ، فوفى بوعده . .
 أخرجه ولكن ميتاً . . وأخرجه محتطاً إلى بيته في اللوزة .

وإلى بيت الطائفة الدرزية في بيروت . . وإلى القاهرة حيث أوصى بدفنه
 قرب شقيقته أسمهان ومن عجائب القدر أن فريداً ولد في عيد الأضحى ومات في عيد
 الأضحى . وأسمهان ولدت في الماء وماتت في الماء . .

كانت أمها حاملها بها . . وهى فى باخرة متوجهة من بلاد الأناضول إلى لبنان
 عام ١٩١٩ حيث عين والدها الأمير فهد الأطرش متصرفاً على منطقة حاصبيا
 فى عهد العثماني .

وفى البحر ولدتها . وشاء والدها أن يسميها « بحرية » تيمناً بالبحر . . ولكن
 والدتها رفضت هذا الاسم وفضلت عليه « أمل » . . ولما احترقت الغناء كانت « أسمهان »
 ثم ماتت أسمهان غرقاً فى الرعة . . وقد أكرم ربه فلم يمته فى طائرة أو فى سيارة
 أو فى شارع بل أماته فى بيته وبين أهله وأحبابه ومعهم الملايين التى أحاطته بقلوبها
 فى كل بقعة من بقاع الأرض .

من قتل فريد ؟

و يبقى السؤال الكبير الذى لاح على شفاه الناس وهم يذرفون الدموع على موسيقارهم المحبوب . . ويرددون : إنه لا يزال صغيراً . . فلماذا مات ؟ وهل هناك من تسبب فى موته ؟

هل هناك مرض القلب وحده ؟ هل هناك العلاج الذى لم يكن واقعياً ؟ هل هو الدواء الكثير ؟ هل هو السهر الطويل ؟ هل هو العذاب الدائم ؟ هل هو الحب من غير أمل ؟ هل هو فى عدم الانقياد إلى رغبات الأطباء . والتخفيف من حدة الأكل والسهر والإرهاق ؟ هل هو فى إحيائه الحفلات الغنائية الطويلة فى الوقت الذى كان يجب أن يركن فيه للهدوء والراحة الاستسلام للسريـر ؟

هل هو فى تحدى النصيحة الحاسمة التى قالها له الدكتور دبنى : إما أن تغنى وتموت وإما أن تعتزل وتعيش ؟

إن الذى قتل فريداً الأطرش هو فريد الأطرش . . قتله حبه لفنه . وقتله إحساسه بوجوده وقتله حبه لجمهوره الذى كان يطالب به إلى الأبد . . وقتله حقه على قلبه الذى أعطى الفن والحب والدنيا كل شيء . . ولم يعطيه هذا القلب شيئاً .

وقته مع حقه على قلبه حبه الكبير للحياة . . ولكن الذى لم يقتله أبداً . . هو إيمانه بالله تعالى . . خالق السماوات والأرض ومانح الحياة لمن يشاء . . والذى لاتسقط شعرة من رؤوسنا إلا بأذنه وإرادته ففى ذمة الله يا صديق الحبيب . . .

يا من جفت دموعى حزناً عليك ، ويكاد يحف مع دموعى حبر قلمي . .

جورج إبراهيم الخورى